المبحث الأول

المنهـــج السَّلفـــي

كل دولة أو حركة أو حضارة إنسانية، تنبثق من مفهومٍ للوجود والإنسان والحياة ثم ترتكز عليه فيٍ صيرورتها الزمنية .

والسعودية – دولةً ومجتمعاً – يمثل المنهج السَّلفي المأثور عن صحابة رسول الله ﷺ ومن التزم هديهم الأساس العقدي الذي تقوم عليه، ويجري في عروقها، ويُوجِّه مسيرتها .

كان يمكن أن نقول: إنَّ الإسلام هو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع السّعودي ولكن لفظة « الإسلام » لم تبق في عصرنا الحاضر على مفهومها المحدّد المتعيّن لدى الناس بالتزام تعاليم الكتاب والسنّة التزاماً سليماً ، وإنّما تعدّدتْ مفهوماتها خاصّةً عندما تطلق وصفاً للدّول .

- فهناك إطلاقٌ يتعلّق بالدولة من حيث موقعها في الخريطة الثّقافيّة الدّينيّة، فكما يقال : فرنسا دولةٌ مسيحيّةٌ يقال : مصر أو إندونيسيا دولةٌ إسلاميّةٌ ، فالنسبة هنا نسبةٌ إلى الحضارة الإسلاميّة بصرف النظر عن نموذج الحكم ونظامه وأصول السّكان .
- وإطلاقٌ آخر يتعلّق بالدّولة بصفتها داعمةً للجانب العبادي والدَّعوي من الدّين ، برعاية أماكن العبادة، ونشر العلم الشّرعي ، وتأييد الفضيلة والدّعوة إليها ، دون اهتمام برعاية المصالح الدّنيويّة الإنسانيّة والاقتصاديّة ونحوها وفق التوجّهات الدِّينيّة .
- وإطلاقٌ ثالثٌ يتعلّق بالدّولة من حيث هي نظام حكمٍ يقوم على تعاليم الإسلام في دستوره وقوانينه وعلاقاته ، فيقال : دولةٌ إسلاميّةٌ، كما يقال :

دولةٌ اشتراكيّةٌ، أو بَعثيّةٌ؛ أي أنها تستمدّ برنامجها السّياسي والاجتماعي من منهج الإسلام، كما تستمدّ تلك من الفلسفة الاشتراكيّة أو البعثيّة[1].

وهذا الإطلاق الثالث هو المفهوم الذي تتبنّاه الحركات الإسلاميّة المنادية بالحلّ الإسلامي وبناء الدولة الإسلاميّة في هذا العصر، ولكنّه بدوره مفهومٌ حمّالُ أوجه، وبالذّات بالنسبة للأساس العقدي الذي ستجعله فلسفة الحكم ومُوَجِّهه، خاصةً وأنّ هذه الحركات تركن -من خلال مفكّريها- إلى خلفيّاتٍ عقديّةٍ مختلفةٍ من تراث الفرق السّابقة.

لهذا كان لا بدّ من تحديد الوجهة العقديّة للمجتمع السّعودي، المتمثّلة بالمنهج السّلفي، الذي يمثّل أقرب الصّور التطبيقيّة للإسلام النموذج، إسلام الرسول ﷺ وأصحابه في مختلف جوانب الحياة.

حقيقة المنهج السّلفي:

بُعثَ الرّسول بدين أوحاه إليه ربُّهُ، يقدّمُ تصوّراً عن الوجود والكون والإنسان والحياة، متميّزاً عن التصوّرات الشائعة في وقته، والمحدودة بإطارات ضيّقة متخلّفة، قدّم هذا التصوّر بمنطقٍ فطريٍّ يَتَغَلْغَلُ في أعماق النفس الإنسانيّة، ولا يجدُ العقلُ السّليمُ بُدّاً من الخضوع له والتجاوب معه، فاستطاع ﷺ بهذا التصوّر والمنطق القرآني أن يعيد تشكيل الحياة لأولئك العرب من حياة الوثنيّة إلى التوحيد، ومن الغفلة عن الله إلى عبوديّته وطلب رضاه،

(١) انظر: نقد السياسة - الدولة والدين، برهان غليون، ص ٣٥٢، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، بيروت.

ومن دنيويَّة شهوانيّة تنكر قيام حياة أخرى إلى إيمانيَّة إنسانيَّة تتحرَّك في الدنيا وهمها وغايتها الأخرى، ولإقامة هذا الإيمان وتحقيق الحركة به جاء ﷺ بمنهج كامل يشتمل على قضايا عقديَّة يقيم المسلم من خلالها تصوُّراً كاملاً واضحاً عن الوجود والكون والإنسان والحياة، وعلى قضايا عمليَّة يضبط بها مسيرة حياته لتكون منتجةً ومُتَّجهةً نحو غايتها الصّحيحة .

وبهذه القضايا العقديَّة والعمليَّة تشكَّلت شخصية المسلمين الذين ربَّاهم الرسول ﷺ فرديّاً ، وجماعيّاً ، ومنهم أخذَ الجيلُ اللاحق فالتابعون لهم بإحسانٍ بعدهم .

لكن الأحداث التي مرَّت بالمسلمين في أواخر عهد الخلفاء الرَّاشدين، وانفتاح المسلمين على الأمم الأخرى ، ومن ثم دخول الثقافات الفلسفيَّة والإشراقيَّة شَوَّه هذا التشكيل المتلألئ بأنوار الوحي الإلهي ، بل أحدث تشكيلات أخرى بإزائه ؛ أي مناهج عقديَّةً لكلٍّ منها تصوُّرُه الخاص فيما يتعلق بالذات الإلهيَّة وصفاتها، ومنزلة الوحي بالنسبة للفكر البشري ، وإطلاق الأوصاف الشَّرعيَّة إيماناً وإسلاماً وكفراً على الناس ، ومشكلات الحكم والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر . . . إلخ . لكن الذي يجمعها – على الرغم من اختلافها فيما بينها – في مقابل ذلك المنهج الأول الذي تَشكَّلت وفْقَه الحياة الإسلاميَّةُ لدى صحابة رسول ﷺ وهو « المنهج السلفي »[1] كونها محدثةً بعده، وخروجاً عليه، وتحكيماً للرؤية البشريّة فيه ، وقد أطلق على هذه المناهج نظراً لما يجمعها اسم « منهج الخلف » مقابلاً لمنهج السَّلف ذاك .

(١) السَّلَفُ في اللغة يعني التقدم ، وفي إطار الأمة المحمدية فإن صحابة رسول ﷺ هم مُتقدِّموها ، فهم السلف، ولمَّا كان تقدُّمُهم إنما تبلور ليس في التقدم الزمني فقط، وإنما في منهج الحياة الذي أخذوه من رسولهم ﷺ مقابل المناهج الأخرى فإن من أخذ بمنهجهم يكون سلفيّاً .

وعليه فالمنهج السَّلفي هو : « المنهج المُقدِّمُ للنصوص الشّرعيَّة على البدائل الأخرى فكراً أو ذوقاً أو غيرها ، المُعبِّرُ عن هدي الرسول ﷺ وهدي أصحابه علماً وعملاً ، الرَّافض للمناهج المخالفة لهذا الهدي في العقيدة والعبادة والتشريع »[1] .

ولعله استبان مما مرَّ أنَّ هذا المنهج ليس واحداً من المناهج العقديَّة الحادثة في تاريخ الإسلام كالخوارج والمرجئة والقدرية ، ثم المعتزلة والفلاسفة والإشراقيِّين ونحوهم ، ولكنّه منهجٌ متميِّزٌ عنها كلّها مضموناً ، واستمداداً ، فهو يقف بإزائها كلها متفرداً .

ولتميز استمداده رجوعاً إلى تعاليم القرآن وهدي الرسول ﷺ وأصحابه .

خلافاً لتلك المناهج التي تعول على الفكر البشري تراثاً فلسفيّاً ، أو رأياً فطيراً

فإنه -أي المنهج السَّلَفي- هو الأصدق في تمثيله لحقيقة الإسلام الذي رضيه الله - تعالى - ديناً كاملاً يتعبَّد به الناس له فيقبل منهم ويرضى عنهم ، ويمنحهم النجاح في الدُّنيا ، والفلاح في الأخرى ، وهو من ثم المنهج الذي لا تصدق دولةٌ أو حركةٌ في دعوى إسلاميَّتها إلا بأخذها به ودعوتها إليه .

معالم المنهج السلفي :

لن أستقصيَ جوانب هذا المنهج في مختلف جوانب الدين ، فهي كثيرةٌ ومُتشعِّبةٌ ولا ضرورة لها هنا [2]، ولكنِّي سأقتصر على إبراز المعالم التي يتبلورُ بها هذا المنهج بصفته قاعدةً متميِّزةً لإقامة الحياة الإسلامية ؛ فرديَّةً واجتماعيَّةً ؛ وذلك على النحو التالي :

---

(١) السلفية وقضايا العصر ، للمؤلِّف ، ص ٤٩ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، دار إشبيليا ، الرياض .

(٢) فضلاً عمَّا سبق في التشكيل الإسلامي للمجتمع في البحث الأوَّل من التمهيد .

١- مرجعية القرآن والسنة : هذا هو المعلم المنهجي الكبير الذي فارق به المنهج السَّلَفي المناهج الأخرى عقديَّةً وفكريَّةً وسياسيَّةً .

فالسَّلَف يجعلون الوحي قرآناً وسنةً صحيحة المرجع الوحيد الذي يستمدُّونَ منه عقيدتهم ، ويستنبطون منه أحكام حياتهم ، ويضبطون به فكرهم ، وهو يتحرك في الميدان الحضاري معتقدين أنَّ ما جاء به هذا المصدر من أمور قطعيَّة حقٌّ لا ريب فيه ، وأنهما مُنَزَّهان عن الخطأ والنقص ، غير متأثرين بتغيُّر الزَّمان أو المكان ، خلافاً للمصادر للأخرى عقليَّةً أو حدسيّةً أو كشفيَّة .

والعصمة في هذا المنهج منفيَّةٌ عن كلٍّ من سوى رسول الله ﷺ من البشر مهما كان مقامه في العلم أو الدين ، مما يعني ضرورة الرَّدِّ دائماً ومن كلِّ أحد إلى هذين المصدرين الجليلين : الكتاب والسنة .

ولكنَّ توحيدهم لهذه المرجعيَّة لا يعني تنكُّرهم للتراث الإنساني السَّليم النافع فضلاً عن تراث أهل الإسلام ، الذين فهموه حقّاً ، وطبَّقوه صدقاً ، ابتداءً من صحابة رسول الله ﷺ ثم من تبعهم ، فهم يعظِّمون هذا التّراث ، ويُعوِّلون عليه ، ويعدون أنفسهم امتداداً تاريخيّاً لأصحابه ، ولكن تبقى مَرجعيَّتُهم العليا هي الكتاب والسّنة .

وبالتزام هذا المعلم تختفي ظاهرة التعصّب المقيت للآراء الخاصة والوجهات الذاتيَّة ، والتي تسبب التفرق والتناحر بين الناس ؛ لأنّ الاتفاق من الجميع على ردِّ التنازع إلى مرجعيَّة واحدة واضحة يطهِّر السَّاحةَ الثقافيَّة من تلك الأدواء ، كما أنّ توحيدهم لهذه المرجعيَّة لا يعني تنكُّرهم للعقل ، كلا إنَّ العقل مصدرٌ من مصادر العلم في المنهج السَّلَفي ، فهو الذي يتعرَّف الأحكامَ الشرعيَّةَ من خلال مَسَالكه المشروعة قياساً وإعمالاً

للقواعد الشرعيَّة ونحوها ، وهو مصدر لبعض المجالات المعرفية، إذ به تُعرفُ سُنَنُ الله في هذا الوجود، غير أنَّ المنهج السلفي يجعل العقل مصدراً تالياً للوحي من جهة، ثم إنَّ العقل يسير في إطار الضوابط التي وضعها له الوحي من الجهة الأُخرى .

٢- الأخذ بالإسلام بخارطته الكاملة ، وفق مراتبه المفصَّلة التي نَظَّرَها حديث جبريل المشهور حينما سأل الرَّسولَ ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فأجاب موضِّحاً أركان كلٍّ منها[1] ، ويعتمدون كلَّ ما جاءت به الشريعة من شعب ومقتضيات لهذه الأصول الثَّلاثة .

٣- التوحيد : وهذا هو المعلم الموضوعي الكبير -أيضاً- للمنهج السَّلَفي، ولهذا كان مَدَارَ جهودهم المتواصلة تاريخيّاً ، وكان منطلق حركاتهم التجديديَّة ، ومن ثم بَلْوَرُوهُ بصورة واضحة مفصَّلة .

التوحيد عند السلف ثلاثة أنواع :

* اعتقاد أنّ الله هو الذي أبدع هذا الوجود كلَّه، وأنه خلقه لحكمة، وأنَّه يُدبِّرُه ويُصرِّفه كيف يشاء ، وأنَّه ليس له شريكٌ في الوجود معه ، أو من دونه ، وهذا هو توحيد الرُّبوبيَّة .
* اعتقاد أنَّ الله هو وحده مُستحقُّ العبادة ، الذي ينبغي أن تتَّجه له القلوب بالتقديس والدعاء والحب والخوف والرَّجاء والتوكّل والاستغاثة، وأن من سواه كلَّهم عبيدٌ خاضعون له سواء كانوا ملائكةً أو رُسُلاً أو مَنْ دونهم لا يشاركونه في شيء من ألوهيَّته تعالى ، وهذا هو توحيد الألوهية ، أو توحيد العبادة الذي ركز عليه السَّلَف ، وفيه ألَّفَ الإمام محمد بن عبد الوهاب كتاب « التوحيد » .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ص ١/ ٣٦ .

* اعتقاد أنَّ كلَّ ما ذكره القرآن أو الرسول ﷺ من أسماء الله وصفاته حقٌّ لا ريب فيه، نعتقده كما جاء من الله دون أن نحرفه وَفْقَ تصوُّراتنا القاصرة، معتقدين في الوقت نفسه أنَّه – سبحانه – ليس كمثله شيءٌ .

بهذا التوحيد يُحرِّرُ السَّلَف أنفسهم ، ويسعون لتحرير الناس من العبوديَّات الزائفة التي خنقتْ حرِّيَّة الإنسان ، وعبَّدَته لبشرٍ مثله أو أقلَّ منه :

سواءٌ كان ذلك عن طريق كهنوتيّة يجعل أصحابها أنفسهم وسائط بينهم وبين الله ، فيتوسَّلُ بهم الناس ويعبدونهم .

أو عن طريق التحكُّم الطَّاغوتي بمصائر الناس وحركة حياتهم بتسييرها وفق أهوائهم ورغباتهم، وتحقيقاً لمصالحهم الخاصة : إمَّا بفصلها عن الله كليّاً، أو بالتألُّه عليها في الجوانب الاجتماعية من خلال العلمنة التي تشطر الذَّاتَ الإنسانيةَ شطرين :

– شطره الفردي وهذا يتركونه لمزاجه الديني أو الفني ونحوهما .

– وشطره الاجتماعي الذي يفرضون عليه أن يعبدهم من خلاله بالتزام الأنظمة والقوانين التي شرعوها خارج إذن الله .

٤– يقابل التوحيد في الإسلام الشرك ، وهو الخطر الماحق مما جعل التاريخ البشري صراعاً بينه وبين التوحيد .

والشِّرك وفق المنهج السَّلَفي هو كما قرَّرَ الوحي نوعان :

– شركٌ مُدَمِّرٌ للتوحيد تماماً ، ولذا يخرج صاحبه من الإيمان سواءٌ اعتقد أنَّ لله شريكاً في الملك ، أو وَحَّدَ الله في ملكه وأمره، ولكنَّه أشرك في صرف شيءٍ من أنواع العبادة لسواه .

وهذا الشرك لا يُغفَر لصاحبه إذا مات عليه، وإنما يُخلَّدُ في النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[1].

- شرك أصغر من السّابق، ورغم خطورته إلا أنَّه لا يخرج من الإيمان، ولكنّه دليلٌ على ضعف هذا الإيمان ونقصه، كالرِّياء اليسير في العبادة.

٥- الدين والإيمان في المنهج السَّلَفي: اعتقادٌ بالقلب وإعلامٌ باللِّسَان وعملٌ وتطبيقٌ بالأعضاء مجتمعةً مع بعضها، وهذا الإيمان يزيد وينقص.

ولكن هذا الإيمان لدى السَّلَف أصلٌ وفروعٌ، فإذا انحسر الأصلُ بإنكار وجود الله أو اعتقاد أنَّ معه إلهاً آخر، أو التكذيب برسالة محمد ﷺ ونحوها فقد بطل الإيمان تماماً.

أمَّا الفروع المشتملة على الأعمال، فإنَّ نقصَ شيء منها لا يزيل الإيمان تماماً وإنْ أخلَّ به، ولهذا لا يُكَفِّرُ السَّلَفُ أحداً من المسلمين بفعل المعصية، ولا يقولون بخلوده في النار حتى ولو مات دون توبة منها.

٦- الولاء في «المنهج السَّلَفي» ديني؛ فهو ابتداءً للحقّ وحده، ومن ثَمَّ لكلِّ من التزم هذا الحقَّ وعمل به، وعلى هذا المنطلق تذوب حزبيَّاتُ العرق والعصبية والإقليم، ويكون الإيمان والعمل الصالح والتقوى هي معيار الولاء حبّاً ومظاهرةً وغير ذلك، وكلما زاد الإنسان من هذه الجوانب زاد توليه، وكلما نقصت ضعف الولاء له، فإذا انسلخ منها وتحوّل عدوّاً لله ودينه انقلب ذلك الولاء براءً وبغضاً.

ومن هذا المنطلق حاز الرّسول ﷺ قمّة الحبّ والولاء عندهم؛ لأنه النموذج في الدّين وبعده أصحابه رضوان الله عليهم، وفي مقدّمتهم خلفاؤه الأربعة الراشدون وآله من زوجاتٍ وبناتٍ وأقربين، ممّن التزم

(١) الآية رقم (٤٨) من سورة النساء.

هديه يحبّونهم ويوالونهم ، ويرفضون الإساءة إلى أحد منهم .

لكنّ منطق هذا الولاء لا يعني إلغاء الحقوق الولائيّة لدى الإنسان لأقاربه ولوطنه ونحو ذلك ، ولكنّها تأتي تاليةً لولائه لدينه وخاضعةً له .

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وما يميّز المنهج السّلفي في هذا المجال أنّه تطبيقيّاً متلازمٌ مع أصلٍ شرعيٍّ وهو الحفاظ على الجماعة وتوقّي حدوث مفاسد أعظم من المصالح المرتجاة .

ولهذا اقترن هذا المعلم بالعلاقة بالحكّام ، فإذا كانت بعض الفرق قد اتّخذْته وسيلةً لنشر الفوضى في المجتمع المسلم ، وسهلت من خلاله الإخلال بالأمن بالثورات المتواصلة على الحكّام إذا ارتكبوا منكراً بحجّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، فإنّ المنهج السّلفي يقرّر هنا أنّ وجوبه قائمٌ ، ولكنّه في إطار مسالك منتجة محقّقة للمصالح الشّرعيّة ، وأنه لا يعني الخروج على الإمام المسلم إذا حدث منه فسوقٌ أو التنفير منه ، بل المنهج السّليم هو التعاون معه على الحقّ من تطبيقٍ للشريعة ، وجهادٍ في سبيل الله ، والصّلاة خلفه .

أمّا ما يمارسه من منكرٍ فلا يجوز مشاركته فيه ، بل يجب نصحه بحسب القدرة ، وبالوسائل القائمة على المصلحة الشّرعيّة .

٨- عبوديّة المسلم لله - تعالى - تتضمّن مهمّةً أناطها الله بالإنسان ، وهي الخلافة في هذه الأرض ، فالإنسان مستخلفٌ فيها ، مسخّرةٌ له مخلوقاتها جماداً ونباتاً وحيواناً ، فهو في جمعه بين العبوديّة لخالقه والسّيادة الاستخلافيّة على الكون من حوله يستطيع تحقيق وجوده الإنساني الأسمى فرديّاً وحضاريّاً .

٩- العبوديّة لله - تعالى - التي تقتضي التعويل عليه - تعالى - دعاءً واستعانةً

وتوكّلاً لا تعني إبطال السّببيّة في حركة الكون والحياة الإنسانيّة .

فالمؤمن وفق هذا المنهج يؤمن بهيمنة الله على الكون، ويعلم أنّ في الوجود نواميس أو أسباباً أجرى الله حركته على أساسها ؛ فلا هي مستقلّةٌ بنفسها كما يقول الماديّون ، ولا هي منكرةٌ كما يتصوّر من يجعل القول بها شركاً بالله باعتقاد مؤثّر غيره سبحانه .

المؤمن يتعامل مع الأسباب ، فيعالج المرض، ويطلب الرّزق، مع يقينه أنّ الله هو الشّافي والرّازق ، وأنه لا تناقض بين الأمرين .

١٠- الوسطيّة والاعتدال : لمّا كان الإسلام دين الوسط والاعتدال كان الملتزمون هديه هم الوسط المعتدل بين المنحرفين عنه ، الذين لا محيد لهم عن أن يكون انحرافهم إلى جانب التّفريط ، أو إلى جانب الإفراط .

ولالتزام المنهج السّلفي هدي الإسلام ظلَّ هذا المنهج قائماً على معيار الوسطيّة والاعتدال بين صور التطرّف التي تتكاثف على مرّ القرون، ولهذا لا تجد قضيّةً من القضايا العقديّة التي اختلفت فيها فرق الأمة إلا والسّلف الصّالح فيها وسطٌ بين طائفتين أخذ كلٌّ منهما بطرفٍ مقابلٍ للآخر، فمثلاً :

- في الإيمان، هم وسطٌ بين جعْل الأعمال أصلاً في الإيمان يكفر من أخلَّ بشيء منها ، ومن نفى قيمة الأعمال في الإيمان تماماً .
- وهم وسطٌ في صفات الله - تعالى - بين من عطّلها من حقائقها ، ومن شَبَّهها بصفات الخلق .
- وفي الأسباب، هم وسطٌ بين من يجعلونها مؤثّرةً بالاستقلال عن الله، ومن ينكرونها تماماً .
- وفي صحابة رسول الله ﷺ بين من ينكر فضلهم ويزدريهم ويبغضهم،

ومن يغلو في بعضهم إلى درجة تأليههم وعبادتهم ، وهكذا . . .

١١ - المنهج السّلفي نتيجةً لالتزامه الكتاب والسّنة - وبالذات في مفهوم الإيمان- يرتبط فيه العلم بالعمل دون انفكاك ، ولهذا كانت حضارة الإسلام التي ازدهرتْ على أيدي رجال هذا المنهج حضارةً علميّةً خلقيّةً، وهو في هذا المعلم وسطٌ بين منهج النظريّين من الفلاسفة وأهل الكلام المستغرقين في جدلهم ونظريَّاتهم التجريديّة عن الممارسة العمليّة ، ومنهج بعض الزُّهَّاد والصّوفيّة الذين اهتمّوا بالجانب التعبُّدي مع إهمال الجانب العلمي ، فكثر فيهم الضّلال والبدع .

١٢ - المنهج السّلفي يُربِّي أتباعه على أن يكونوا خير الناس لخلق الله، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويرحمون عباد الله ، ويحرصون على اجتماع كلمة المسلمين وتآلفهم على تعاليم كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، وهم أبعد الناس عن تكفير الآخرين من مخالفيهم في اجتهاد أو في فهم خاطئ، يرحمون خلق الله ويدعونهم إلى الكلمة السّواء والمنطق الحقّ الذي تقرّره النصوص الشّرعيّة، معلنين تخلّيهم عن كلّ رأي أو وجهة يثبت لهم أحدٌ من مخالفيهم مخالفتها لهذه النصوص، وكلّ هذا خلافٌ ما عليه عامّة الفرق التي تكفّر غيرها ، وتتهجّم على مخالفيها ، وتتعصّب لآرائها بغير هُدًى ولا بيان .

١٣ - الأخذ الشّمولي لدين الإسلام في عقيدته وعباداته ومنهجه الخلقي ونظمه الاجتماعيّة في السّياسة والاقتصاد والتعليم وسائر جوانب الحياة اتّباعاً لقوله - سبحانه - لنبيّه ﷺ: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ**﴾[1] ، ومن هذا المنطلق جاء

(١) الآيتان (١٦٢-١٦٣) من سورة الأنعام.

تعريف ابن تيمية للعبادة، ذلك التعريف الذي لا يحصرها بالشعائر التعبّديَّة ويخرج ما سواها ، وإنما يغطّي بها كلّ حركات الإنسان في حياته، قال رحمه الله : « العبادة اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالصّلاة والزكاة . . وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد . . . وكلّ ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادةٌ »[1] .

وهذا خلاف ما سلكته الفرق الأخرى التي جزّأت الإسلام فأخذ كلّ منها جزءاً ضخَّمَهُ حتى جعله الإسلام كلّه، وأهمل الأجزاء الأخرى الباقية، فقد جعله المتكلّمون فلسفةً فكريّةً في الوجود والمعرفة معزولةً عن الجانب العملي ، وجعله بعض الصّوفيّة حالات وجد وفناء في الحبّ الإلهي حتى أضاعوا شعائره الكبرى، وقصّره أناسٌ على العبادات الشعائريّة صلاةً وصياماً وحجّاً، وأخرجوا نظمه الاجتماعيّة . . . إلخ .

هذه بعض معالم المنهج السّلفي ؛ قواعد موضوعيّة ، أو مسالك فكريّة ، أو خصائص للمنهج وأهله اقتصرتُ منها على ما يشكل صورةً موجزةً عن هذا المنهج تتميّز عن المناهج الأخرى قديمةً أو حديثةً[2] .

وكما أكدت في التمهيد أؤكّد هنا ثانيةً أنّ « الإسلاميّة » سواءٌ كانت إسلاميّة الحياة الفرديّة ، أو الاجتماعيّة ، أو إسلاميّة النهوض الحضاري للأمّة الذي

---

(١) العبوديّة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٣٨، ٧٣ ، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ.

(٢) ينظر في هذا المجال :
- قواعد المنهج السّلفي ، لمصطفى حلمي .
- معالم الانطلاقة الكبرى ، لمحمّد عبد الهادي المصري .
- السّلفيّة وقضايا العصر ، للمؤلف .

تتلهّف عليه منذ وقت بعيد، هذه الإسلاميّة لا يمكن أن تتحقّق إلا بالأخذ بهذا المنهج وحده ، لسببٍ بسيطٍ وواضحٍ، وهو أنّه المنهج الذي يمثّل الإسلام نفسه دون المناهج الأخرى التي تمثّل رؤيةً زمنيّةً لأصحابها متأثّرةً بظروف عصورهم الفكريّة والحضاريّة حتى وإن ربطتْ -بوجهٍ ما- بالإسلام بعد ذلك .

وهذا هو ما وعاه المصلحون المجدّدون في الأمّة ، فجعلوا هذا المنهج السّلفي منطلقهم الواثق في تجديدهم أمر الدّين ، وبعثهم الأمّة بعد خمودها .

المنهج السّلفي قاعدة الوجود والحركة للمملكة العربيّة السعوديّة:

على المنهج السّلفي قامت حركة الملك عبد العزيز ، وتأسست المملكة العربيّة السعوديّة رافضةً الواقع المنحرف عن المنهج السّليم الذي سار عليه سلف الأمة ، وحقّقوا به إسلاميّة الحياة ، والظهور العالمي والحضارة الزّاهرة :

- فلم تستسلم المملكة للواقع بمخلّفات عصور الانحطاط أمام فورة الحضارة الغازية .
- ولم ترفض التراث ؛ تراث أمتها الذي به ظهرتْ ، لم تنظر إليه بصفته ماضياً متخلّفاً ، لن تحقّق تقدّمها إلا بالقطيعة معه ، والاندراج في تيّار العصرنة الذي تقوده ثقافةٌ مغايرةٌ لثقافة هذه الأمّة .

لقد اتّخذتْ المملكة موقف الرّيادة الناجح ؛ فاعتمدت المنهج السّلفي منطلقاً ؛ به حاكمت تاريخها السّابق ، وبه أيضاً تفاعلتْ مع حاضرها الخاص ، والحاضر من حولها بكلّ معطياته ، وبه كذلك تحرّكت خطواتها نحو مستقبلٍ نهضويٍّ واثقٍ .

إنّ كلّ عناصر التفوّق التي حقّقتها المملكة في خططها التنمويّة وتطوّراتها

المتنوّعة ، والتي أخفقتْ فيها دولٌ أخرى ناتجٌ عن التزام المملكة هذا المنهج السّلفي بكلّ أصالته وحيويّته .

وجميع ما في هذا الباب من جوانب تطبيق الشّريعة الإسلاميّة في المملكة ، هو الثمرة اليانعة لجذور هذا المنهج المنغرسة في تربة هذا المجتمع ؛ في نفوس قادته وعلمائه ، وسائر مواطنيه .

وإليك بعضاً من تجلّيات المنهج السّلفي في المملكة العربيّة السّعوديّة :

(١) الوعي الحيوي بالمنهج :

لم يكن المنهج السلفي في المجتمع الذي نتحدث منذ حركة الشيخين محمد ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود -رحمهما الله- وحتى دولة الملك عبد العزيز مجرّد شعار يعلنه سياسيٌّ لكسب الجماهير لصفّه دون وعي بحقيقته فضلاً عن التزام تبعاته ، كما أنّه ليس دعوةً ينجرف معها أناسٌ بعواطفهم دون استيعاب لمحتوياتها -إن كان لها محتوياتٌ عقديّةٌ أو سياسيّةٌ- كما هو الشأن في كثير من الدعوات المعاصرة المستحدثة في البيئة الإسلاميّة ، يتحمّس لها أناسٌ فإذا سئلوا عن حقيقتها وأهدافها ومضامينها ونحو ذلك تلجلجوا وحارت الكلمات في شفاههم ، أو أكثروا من رصف الكلمات يميناً ويساراً ، دون أن يحصِّل منه السّامع أيّ مضمون محدّد في الموضوع . إن المنهج الذي اعتمده هذا المجتمع منهاجا له سواء لدى علمائه أو قادته أو كثير من شعبه واضح المعالم والمقاصد والقيمة الوجودية لاتباعه بدرجات متفاوتة لكنها موجودة .

وخُطَب هؤلاء القادة جليَّةٌ في ذلك ، فهي تؤكّد على أنّ هذا المنهج هو حقيقة الدّين الذي رضيه الله لعباده ، وأنّه المسلك الذي جاهد رسول الله ﷺ وصحابته لترسيخه في الحياة البشريّة ، وأنّه الدّعوة التي قام بها الإمام محمّد بن

عبد الوهاب في الجزيرة العربيّة ، وآزره الإمام محمد بن سعود، فطهَّرتْ الجزيرة من أوضار الشّرك ، وعادتْ بها إلى نصاعتها المشرقة بالإيمان والهدى ، وأنّ تماسك المجتمع السعودي الحاضر وأفضليّته ، إنما تكمن بحمل هذا المنهج وتَمثُّله والدعوة إليه .

وهاهي مقاطع موجزةٌ تكشف الوعي الحيَّ بهذا المنهج :

يقول الملك عبد العزيز : « هذه عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- الذي أظهر الله به الدين بعد ما وهنتْ أركانه بين العالمين في مراسلاته ومناصحاته ودعوته الخلق إلى دين الله ورسوله »[1] .

ويقول موضّحاً شيئاً من مضمون هذا المنهج أمام الحجّاج عام ١٣٦٣هـ: « أمّا العبادة فلا تصرف إلا لله وحده، لا لملك مقرَّب ، ولا لنبيٍّ مرسل ، ولا تخفى عليكم الآية الكريمة : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2] ومعنى : « يعبدون » يُوحِّدون ، فالتوحيد خاصٌّ بالله تعالى ، والعبادة لا تصرف إلا لله ، والرّجاء والخوف والأمل كلّه بالله ولله ، وما بُعِثَ محمّدٌ ولا أُرسِلَ الرُّسُلُ ، ولا جاهد المجاهدون إلاّ لتوحيد الله تعالى »[3] .

وتمضي العقود ويتتابع القادة وتسير تحوّلات الحياة في المجتمع ومن حوله قدماً ، ويظلّ الوعي بهذا المنهج حاضراً في منطق الدّولة ، يقول خادم الحرمين الشّريفين الملك فهد عام (١٤٠٢هـ) : « إنّ الرّسالة الإسلاميّة هي أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نتّبع ما أنزله على رسوله الكريم في كتابه الذي لا يأتيه

---

(١) الدرر السنيّة في الأجوبة النجديَّة، عبد الرحمن بن قاسم ، ٧/ ٣٠٥ ، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت .

(٢) الآية رقم (٥٦) من سورة الذاريات .

(٣) جريدة أمّ القرى ، العدد ٩٨٩ ، في ٦/ ١٢/ ١٣٦٤هـ .

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن نسير على هدي سنن نبيّه الأمين صلوات الله وسلامه عليه .

هذه الرّسالة السّماويّة جاءتْ تصحيحاً لمسار الإنسانيّة إلى ما فيه صلاح أمرها، كما أنها تحضّ المؤمنين على التعاون والتضامن وإنكار الذّات ونبذ الخلافات، وحثّهم على توحيد الكلمة وضمّ الصّفوف في تماسكٍ وتعاضدٍ»[1].

(٢) الإعلان الصّريح بهذا المنهج :

كان من آثار الإبهار الذي مارسه الفكر الغربي على الأمم الأخرى -ومنها المسلمون- بنظمه وقيمه ونظريّاته ، وأيضاً من آثار جهل كثيرٍ من المسلمين بحقيقة دينهم شعورٌ انهزاميٌّ يجعل هذا المسلم يتخلّى عمّا شوّهه الأعداء من دينه، ويعتذر عنه أو على الأقلّ يتخفّى به ويخجل من الظهور به .

لكنا نجد الأمر خلاف هذا لدى الذين وعوا دينهم ، وعرفوا قيمته ، وربطوا وجودهم به ربطاً سببيّاً ، إذ يعلنون منهجهم وينادون به ، ويؤكّدون التزامهم لمقتضياته .

يقول الملك عبد العزيز : « أنا داعيةٌ إلى عقيدة السّلف الصّالح »[2] .

ويقول : « كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمّدٌ رسول الله ، إنّي والله وبالله أقدّم دمي ودم أولادي وكلّ آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضنّ بها »[3] .

ولخادم الحرمين الشريفين : « عقيدتنا هي القاعدة الأساسيّة التي تنطلق

---

(١) كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين ١/ ٦٦ ، إعداد عبد الرحمن الرويشد، دار الشبل، الرياض ١٤١٦هـ .

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص ٢١٦ .

(٣) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ١/ ٦٥ ، الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ.

منها المملكة العربيّة السعوديّة في تصرّفاتها العامة ، وفي تصرّفات الفرد » [١] .

كما تجلّى هذا الإعلان الصّريح في المواقف التي يقفها قادة المجتمع ، وحتى من دونهم في حالات يمكن التنازل فيها للمجاملة ، ولكن حيوية الوعي بهذا المنهج يدفع حامله تلقائيّاً لاتّخاذ الموقف المتّسق مع هذا المنهج[٢] .

ويتجلّى هذا الإعلان في إعلاء شعار هذا المنهج في راية المملكة المرفوعة في كلّ بقاع العالم، وهو « لا إله إلا الله » ورفض تنكيسه؛ لأنّه يحمل هذا الشعار الأعلى دائماً .

كما يتجلى فيما يتعهد به المتخرجون في بعض الكليات وهم ينقلون إلى ميدان العمل :

- الإخلاص لدينهم ثمّ لمليكهم ووطنهم .
- طاعة ولاة الأمور في غير معصية الله .

وفي خطط التنمية المتتابعة يجعل أوّل هدفٍ من أهدافها :

" المحافظة على القيم الإسلاميّة وتطبيق شريعة الله وترسيخها ونشرها " [٣] .

(٣) الحكم بما أنزل الله:

الحكم بما أنزل الله هو البرهان الأكبر على فهم المنهج السّلفي والتزامه :

---

(١) كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشّريفين ١/ ١٣٧ .

(٢) سبق ذكر إنكار الملك عبد العزيز على حاكم العراق القسم بحياته ، ومثلها حينما قال شاعرٌ أمامه : أنت أملنا وفيك الرّجاء ، فقال : تخسأ تَخسأ، عَلِّمْهُ يا فلان التوحيد، وذكر الأستاذ عبد العزيز الغزي أنّ الملك فهداً رَدَّ عليه مرّةً وهو يخاطبه قائلاً : أملنا في الله وفيك أو كلمة نحوها، فقال : قل: ثمّ فيك. . . . إلخ .

(٣) انظر : إستراتيجيّة خطة التنمية الرابعة ١٤٠٥- ١٤١٠هـ، ص ١ ، وزارة التخطيط، المملكة العربيّة السعوديّة .

- لأنَّ إخلاص العبادة لله الذي هو قاعدة المنهج السّلفي، كما أنّه لا يتحقّق إلا بإفراد الله بالعبادة واجتناب الطاغوت في الحبّ والولاء والدّعاء والاستغاثة ونحوها ، كذلك لا يتحقّق هذا الإخلاص إلا بالحكم بشريعة الله ونبذ كلّ شريعة سواه ؛ لأنّ ما يخالف شريعة الله حُكم طاغوت ، والله يقول : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾[1] .

- ولأنّ الإيمان -وفق المنهج السّلفي- لا ينحصر بالقول والاعتقاد وإنّما يدخل فيه العمل وفق شريعة الله .

- ولأنّ اعتقاد شموليّة الدِّين لكلّ شؤون الحياة لا يتحقّق إلا بالحكم بشريعة الله في كلّ هذه الشّؤون .

والحقّ أنّ الإيمان بما هو اعتقادٌ والحكم بالشّرع وجهان لعملة واحدة لا نجاح لأيٍّ منهما إلا بالآخر ، ولهذا فشلتْ تجاربُ لتطبيق الشّريعةً في بعض الدّول ، بل وأصبحت مجال شماتة الأعداء ؛ لأنّها لم تقم على إيمان واعٍ ملتزم بهذا المنهج الأساس لعمليّة التطبيق ، ولعلّ هذا أيضاً من عوامل ما حقّقه تطبيقُ الشّريعة في المملكة من نجاحٍ ، حيث انبثق هذا التّطبيق من التزام المنهج السَّلفي بوعيٍ وإيمانٍ .

حينما اتّجه الملك عبد العزيز إلى الحجاز عام (١٣٤٣هـ) حدّد موقفه : «إنّي مسافرٌ إلى مكّة لا للتّسلُّط عليها، بل لرفع الظّلم والمغارم التي أرهقتْ كاهل عباد الله ، إنِّي مسافرٌ إلى حرم الله لبسط أحكام الشّريعة وتأييدها، فلن يكون هناك بعد اليوم سلطانٌ إلا للشَّرع»[2] .

(١) الآية رقم (٦٠) من سورة النساء .

(٢) حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، راجح لطفي جمعة، ص ٨٣، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض.

ويقرِّرُ : « لقد عاهدتُ الله على الدّعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشريعة في الدَّقيق والجليل »[1] .

ولهذا أزال – رحمه الله – جميع القوانين السّائدة والأحكام القبليّة ، وحصر التحاكم بشريعة الله وحدها . . « . . وأمّا القوانين فإن كان موجوداً منها شيءٌ فيُزال فوراً، ولا يحكم إلا بالشّرع المطهَّر »[2] .

ولقوّة إيمانه بالمنهج فإنّ العوائق التي عاقت الآخرين وما تزال عن الرّجوع إلى شرع الله لم تُعقْهُ ، فلم يتعلَّل بـ « عدم وجود فقه تفصيليٍّ يسيّر به شؤون المملكة »[3]، ولا بعدم تأهيل القضاة الكافين لسدّ الحاجة ، ولا بصعوبة المواءمة بين التّغيّرات التي تقبل عليها المملكة والأحكام الشّرعيّة التي وضعتْ خلال قرون سلفتْ ، ولا توجَّس من ردود أفعال تؤثِّرُ على استقرار حكمه داخليّةً أو خارجيّةً ، لقد تجاوز – بقوّة إيمانه أنّه لا خيرة له وقد مكّنه الله في هذه البلاد إلا تحكيم شرع ربّه – كلّ العوائق، وأعلن التطبيق وحقّقه، وبسطت الشّريعة ظلالها الوارفة على حياة المجتمع السّعودي ، وهي بلا شكّ في منتصف القرن الرّابع عشر وما قبله حياةٌ بسيطةٌ ، جزئيّة الأحداث ، ثمّ بدأت التحوّلات وتعقّدت الحياة في جوانبها المختلفة ، وطرأت أحوالٌ مستجدّةٌ تماماً على المجتمع ممّا اقتضى المتابعة الجادّة باستحداث الأنظمة ووضع الخطط في مجالات الحياة المختلفة، وفي هذا سعت الدّولة جاهدةً أن تنضوي كلّ النظم والخُطَط تحت أحكام الشّريعة ، وإبطال كلّ ما خالفها ارتكازاً على الوعي بذلك المنهج ، والإيمان به ، وهكذا ظلّ ويظلّ «الكتاب والسّنة هما الأصلان العظيمان

---

(١) من خطبة . صحيفة أمّ القرى ، عدد [٢٢٨] .

(٢) فتوى أصدرها العلماء في (٨/ ٨/ ١٣٤٥هـ) بحَثٍّ من الملك عبد العزيز ، الدرر السنيّة ٥/ ٣١٩ .

(٣) الملك عبد العزيز والمملكة العربيّة السعوديّة، عَبد الله التركي ، ص ٤٢ ، بدون دار الطبع .

من أصول الإسلام اللذان بهما نهتدي ، وعليهما نسير ، ولهما نحتكم . . عليهما بُنيت الشّريعة السّمحة ، التي لا يكون المسلم مسلماً إلا بالعمل بها ، والمحافظة على ذلك في أمور دينه ودنياه»[1] .

(٤) إزالة مظاهر الشّرك :

من مقتضيات المنهج السّلفي المبادرة إلى إزالة كلّ مشاهد العبادة لغير الله، وتطهير الأرض من المشاهد الشّركيّة والمزارات الوثنيّة إذا مكَّنَ الله لعباده ، اقتداءً بالرّسول ﷺ في تكسيره الأصنام ، وإزالته الأوثان ، وقد قامت الدّول السّعوديّة في دورتيها الأوليين بتطهير ما استطاعتْ تطهيره من أرض الجزيرة العربيّة ، ثمّ أكمل المهمّة مؤسّس الدولة السّعوديّة الثالثة الملك عبد العزيز ، حيث حارب كلّ الخرافات الوثنيّة ، وأزال ما كان باقياً من المشاهد وقِبَبِ الأضرحة : « ومن ذلك : هدم صنم « ذيْ الخلصة » في منطقة « تبالة » قَربَ « بيشة » حيث هدم بواسطة عامل الملك علَى تلك الناحية عبد العزيز بن إبراهيم ، ونكل بسدنتها ، وتوعَّدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها »[2] .

(٥) التربية العقديّة :

إنّ تطبيق الشّريعة وإسلاميّة الحياة لا تتحقّق فقط بأن تحتكم الدّولة بأنظمتها العامة وممارستها القضائيّة للشرع ، فهذا هو الغطاء الظاهري لحياة المجتمع ، أمّا العُمق فيتمثَّلُ بالتزام المجتمع - أفراده- بسمت الإسلام في العبادة والأخلاق والعلاقات والمعاملات، ولن يتحقّق هذا السَّمتُ منبثقاً من التزامٍ داخليٍّ، لا إلزامٍ خارجيٍّ إلا بغرس العقيدة الصّحيحة الحيّة في نفوس

(١) من كلمة لخادم الحرمين الشريفين في (١١/ ٤/ ١٤٠٤هـ)، كلماتٌ منتقاةٌ ، ١/ ١٠٥ .

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، محمد الشثري ، ١/ ٢٧٧ . ومثل هذا القبر المقبَّب على القبر المزعوم لـ « حواء » في جدّة . انظر : المرجع نفسه، ١/ ٢٧١ .

هؤلاء الناس؛ لذلك بادر الملك عبد العزيز إلى إنجاز هذه المهمّة من خلال أنواعٍ من السُّبُل :

– منها مشروع « الهجر »[1] الذي قصد منه توطين أهل البادية في مواقع ثابتة من أجل تربيتهم على العقيدة الصّحيحة والأخلاق الإسلاميّة التي تطهّرهم من الصفات السّائدة في حياة البادية ، كالجفاء واستباحة النهب والحميّة الجاهليّة ، وإهمال العبادات ونحوها .

وقد بعث الملك عبد العزيز المعلّمين لساكني هذه الهجر ، فتعلّموا العقيدة ، وقرأ طلاب العلم عليهم الفقه والسّيرة النبويّة ، حتى حدث تحوّلٌ جذريٌّ في حياة كثير منهم نحو الولاء لدين الله ، والغيرة على محارمه ، ولهذا كانوا خير عونٍ للملك عبد العزيز في استكمال حركة توحيد ما يمكن من أقاليم الجزيرة، يدفعهم الإيمان والرّغبة في بذل النفس والجهد لتطهير هذه الجزيرة من أوضار الشّرك ، ولكن نقص الوعي « السّياسي والحضاري » لدى بعضهم جعلهم يتّخذون مواقف مضادّةً لمصلحة الدولة الناشئة ، رفضاً لبعض المستجدّات التقنيّة، وتهديداً للأمن ، مما حتّم الصّدام بين بعضهم والملك عبد العزيز، وبالذات في موقعة السّبلة سنة (١٣٤٧هـ) .

ولكنّ أثر هذه الهجَر الديني والثقافي بقي خيراً على الناس ، وبالذات أهل البادية ، وعُدَّتْ هذه الهِجَر من الإنجازات التربويّة « لعبقريّة » الملك عبد العزيز[2] .

---

(١) جمع هجرة ، وهي مكان تجمّع قبيلة أو مجموعة قبائل يكون على مورد ماء لتعلّم الدين، والاستعاضة عن السّلب والنهب بالزّراعة ونحوها ، ومن أشهر الهجر : هجرة الأرطاوية ، والغطغط .

(٢) انظر البحث الطويل عن فكرة الهجر وتصوّرات الكتّاب عنها في « السعوديون والحلّ الإسلامي » لمحمّد جلال كشك ، ص ٥٥١ وما بعدها .

- ومنها : الدروس العلميّة التي يقوم بها العلماء في المساجد في مختلف العلوم الشّرعيّة، وقد تكون عامةً لكل فئات المجتمع ، أو خاصةً بالفئة المثقّفة من طلاب العلم الشّرعي .

والدّروس العلميّة « الشّرعيّة » من أهمّ المسالك التربويّة التي سلكتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدولة السّعوديّة الأولى ابتداءً من دروسه في مسجد الدّرعية ، ثم المساجد في المدن التي تستولي عليها الدولة . « فحينما دخل الإمام سعود بن عبد العزيز الأحساء سنة ١٢١٠هـ أقام -كما يؤرّخ ابن بشر- قريباً من شهر ، ورتَّبَ أئمّة المساجد ، وأمرهم بالمواظبة على الصلوات وإقامة الجُمَع والجماعات . . . ورتَّبَ الدروس وجعل فيهم رجالاً علماء يعلّمونهم التوحيد ويذاكرونهم ، ويعلّمونهم أصول الإسلام »[1] .

ولقد أدرك الملك عبد العزيز ومعه العلماءُ بعد قيام الدولة أهميّة هذه الدروس - خاصّةً وأنّ التعليم النظامي لم يكن قد انتشر بعدُ - لهذا اهتمّ بإحيائها واتّخاذ ما يحقّق إنتاجيّتها المنشودة .

هناك نماذج لخطابات من الملك عبد العزيز يوجّه فيها مشائخ نحو بعض الأماكن من أجل الصّلاة فيهم وتعليمهم أمور الدين : « استقم عندهم تصلّي بهم وتعلّمهم قراءة القرآن ، وتعلّمهم أمور دينهم »[2] .

وانتشرت الدّروس العلميّة في المساجد ، خاصةً المساجد الكبرى في المدن التي كان العلماء الفطاحل يجلسون فيها للتدريس ، مثل الشيخ عبد الله ابن حسن آل الشّيخ، والشيخ سعد بن عتيق ، وغيرهم .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد -عثمان بن بشر ١/ ١٢٩ ، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

(٢) انظر : من وثائق الملك عبد العزيز -المهرجان الوطني للتراث (٧٧-٩١) ، سنة ١٤٠١هـ، الحرس الوطني . ومعنى استقم : أقم عندهم إقامةً ثابتةً .

أما الحَرَمان الشّريفان فقد خُصَّا بعناية أكبر ، ووضعتْ لهما تنظيماتٌ خاصّةٌ لتكثيف الدروس فيهما، والتنظيم الإداري ، وضبط الوجهة التي ينبغي أن تستقيم عليها مضامين هذه الدروس .

فمثلاً جاء من ضمن النظام الذي أمر به الملك عبد العزيز عام (١٣٤٥هـ) بشأن دروس الحرم المكي :

- « أن تشتمل على بيان أصول العقائد ومباحث الصّفات وفق مذهب السّلف ، وكشف أنواع البدع التي شوّهتْ سمعة الدّين الحنيف ، وأنواع الخرافات التي أخرت المسلمين، وهبطتْ بهم إلى الحضيض .
- وقراءة فقه المذاهب الأربعة والعلوم العربيّة بكرةً وأصيلاً ، ودروس التوحيد والتفسير والحديث والوعظ بين العشاءين »[1] .

يضاف إلى الدروس العلميّة قراءاتٌ متواصلةٌ في المساجد أو دور العلم بعد صلاة العصر وبين العشاءين ، وبين الأذان والإقامة لصلاة العشاء في كتب السّيرة النبويّة ، والترغيب والترهيب ، ورياض الصّالحين وتفسير ابن كثير ونحوها .

وما تزال الدروس العلميّة قائمةً في المملكة وفي الحرمين ، وفي المساجد ، وفي المدن والقرى ، وأحياناً في بيوت المشائخ تؤدّي دورها البنَائي للعقيدة والثّقافة الإسلاميّة .

- ومن أوسع سبل التربية العقديّة في المملكة العربيّة السعودية « التعليم » وسيأتي الحديث عنه لاحقاً ، لكنّا نشير إلى أنّ هذا التعليم في مختلف مراحله ، وبالذات المراحل الابتدائيّة والمتوسّطة والثانويّة تعليمٌ عقدي

(١) انظر : الملك عبد العزيز والتعليم، بدر الدين أبو راس، ص ١٣٩ ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، مكتبة العبيكان، الرياض .

يزرع في عقل الناشئ العقيدة الصّحيحة وفق المنهج السَّلَفي في مختلف الجوانب ، وخاصّةً مادّة التوحيد التي تعتمد غالباً على رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المرحلة الابتدائيّة ، وعلى كتاب « التوحيد » في المرحلة المتوسّطة ، مع نفي كلّ شائبة شركٍ أو إلحادٍ يمكن أن تندسَّ إلى بعض المناهج المستحدثة .

- ومن سبل البناء العقدي : حماية المجتمع ككلٍّ من الانحراف العقدي وإيصاد الأبواب عن التسرّبات الشّركيّة والبدعيّة من خلال التأثير الثقافي لفاسدي العقيدة أو الكفّار .

وفي هذا المجال وضعت أنظمةٌ للجمارك والإعلام لمنع الكتب والنشرات المخلّة بالعقيدة ، المصادمة للإسلام ، فضلاً عن متابعة من يمارسون عمليّة التثقيف في المجتمع ، سواءٌ كانوا من المدرِّسين المتعاقَد معهم ، أو من الوعّاظ في المساجد وأمثالهم ؛ لئلاّ يصادموا عقيدة المجتمع ، ويبثّوا شيئاً من الضّلال الشّائع في مجتمعاتهم التي قدموا منها .

(٦) نشر السّلفيّة علميّاً :

تدرك المملكة منذ إنشائها أنها حاملةُ رسالة المنهج السَّلَفي في العالم ؛ ولهذا اتّجهتْ جهودها بعد استقرار المملكة لنشر هذا المنهج ، وتأكيد وجوده العلمي في البلاد الإسلاميّة من خلال ثلاث طرقٍ :

الأوّل : دعوة المسلمين لهذا المنهج عن طريق الإعلام المباشر ، وأهمّه في عهد الملك عبد العزيز خطبه التي يلقيها في الحجّاج ، حيث كان مأدبةً كبيرةً يدعى إليها كثيرٌ من كبار الحجّاج وقادة الدّول .

الثاني : بعث العلماء لنشر هذه الدعوة في الأماكن المتاح فيها للدعوة مجالٌ ،

وكذلك التعاون مع علماء الأقطار الأخرى ممن يحملون هذا المنهج ، ويسعون لنشره وتأييدهم مادّياً ومعنويّاً، وقد كانت للملك عبد العزيز ولعلماء المملكة صلاتٌ بعديدٍ من العلماء في العالم العربي والهند وغيرها ، مثل : الشيخ رشيد رضا، والشيخ محمّد حامد الفقي في مصر ، والشيخ محمد بهجت البيطار في الشام وغيرهم .

الثالث : بعث التراث الإسلامي السَّلَفي بطبع كتبه ونشرها ، وبالذات كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله[1] .

وما تزال صور هذا النشاط إرسالاً للعلماء والمدرِّسين والدّعاة ، ونشراً للكتب العلميّة السَّلَفيّة ، وإقامةً للدّورات الشّرعيّة يسهم فيها المجتمع السّعودي شعبيّاً ورسميّاً في مختلف أرجاء المعمورة .

(٧) ولعلّ من أبرز تجلّيات هذا المنهج في حركة المجتمع السّعودي ودلائل تأصّله فيه : **الإصرار الواثق على التأكيد من خلال التجربة الحيّة -لا من خلال التنظير الفكري- على إمكانيّة استيعاب التقدّم المدني مع التزام العقيدة السَّلَفيّة** ، بل على أنّ هذا الالتزام هو السبيل لامتلاك هذا التقدّم امتلاكاً حرّاً لصالح الإنسان .

وهذا خلاف ما يعتقده الممسوخون من أبناء هذه الأمّة من أنّه لتحقيق التقدّم المادّي في المجتمع المسلم لا بُدَّ من تغيير عقائده نحو عقائد ماديّةٍ ، وسيأتي الحديث عن هذا في الآثار إن شاء الله .

وخلاصة القول في هذا المبحث : أنّ المنهج السَّلَفي بما هو منظومةٌ من الأصول العقديّة والمنهجيّة والقيميّة المستمدّة من القرآن الكريم وسنّة الرّسول محمّدٍ ﷺ وهدي أصحابه ، هو المرجعيّة التراثيّة التي يركن إليها المجتمع

---

(١) انظر في هذا : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، الشثري ، ١/ ٤٢٤ .

السعودي دولةً وشعباً ، وهو المذهبيّة الموجّهة للأداء البشري فيه فرداً ومجتمعاً، وهو الرّسالة التي يحملها للناس كلّهم مسلمين وكفّارٍ .

« إنّ عقيدتنا هي القاعدة الأساسيّة التي تنطلق منها المملكة العربيّة السعوديّة في تصرّفاتها العامة وفي تصرّفات الفرد »[1] .

(١) كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين ، ١/ ١٣٧ .

obeikan.com